وصف اناجيل سطرنجيليّة سريانيّة مصوّرة

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

تفرّغ رهطٌ من احبار السريان واكليروسهم ورهبانهم لنساخة كتاب الاناجيل الاربعة المقدّسة بحروف سطرنجيلية سريانيّة غاية في الرونق والبهاء. وتأنّقوا التأنّق كلّه في تدوينها. فنمّقوا عناوينها وفصولها بماء الذهب وضروب المداد. ودبّجوا بعض صفحاتها برسوم ظريفة دقيقة ذات الوان زاهية أنيقة تدهش الأبصار وتخلب الألباب. ورصّعوا دفّة الكتاب بالذهب والفضّة وطعّموها باللآلئ والجواهر الكريمة. وحلّوا اطرافها برسوم الانجيليّين الاربعة. ووشّحوا وسطها بالصليب الخلاصيّ مع آية المزامير « بك ننطح مضايقينا. وباسمك ندوس القائمين علينا » (مز ٤٤: ٦). وفرضوا على الشمّاس او الكاهن ان يبخر الكتاب حين التطواف به في الكنيسة وحين ترتيله في واثناء الصلوات الاستغفارية مضمّخًا. اخيرًا استعرضوه في منصّة عالية خصوصية ليقبله المؤمنون ويتباركوا به. ذلك كلّه يبرهن عمّا للمؤمنين خاصّتهم وعامّتهم من التجلّة والتكريم لكتاب الله عزّ وجلّ. وعمّا تفرّد به الخطّاطون الافذاذ من التأنّي والبراعة والذكاء في فنّ الرسم الجميل.

ولم يقتصر السلف الصالح على ذلك كلّه بل أحصوا آيات الاناجيل الاربعة احصاء مدققًا وضبطوها في ٩٢٢٤ آية. منها ٢٥٢٢ آية لانجيل متّى الرسول. و١٦٧٥ آية لانجيل مرقس البشير. و٣٠٨٣ آية لانجيل لوقا البشير. و١٩٤٤ آية لانجيل يوحنا الرسول.

وبعد هذا كلّه نظموا الفصول تنظيمًا دقيقًا محكمًا طبقًا للطقس السرياني القديم موزعًا على الاحاد والاعياد السيدية وتذكارات الرسل والشهداء والملافنة والقديسين والقديسات والاصوام واسبوع الالام. فأفرزوا لكل منها ثلاثة فصول: لصلاة المساء والصباح والقدّاس.

بيد ان عددًا صالحًا من تلك المصاحف الثمينة النادرة المثال قد اخذته يد الضياع بسبب الحروب والفتن والنوائل وسائر حوادث الدهر. ولم يبق منها

الا النادر العزيز . ونحن بدورنا اطلعنا على مخطوطتين نفيستين من الاناجيل الكريمة المصوّرة توخينا ان نصفها على صفحات المشرق الاغر وهما ١ً – مخطوطة مكتبة فلورنسة ٢ً – مخطوطة المكتبة الفاتيكانية :

اولاً – مخطوطة مكتبة فلورنسة

هذه التحفة الانجيلية النفيسة قد رقشها الراهب رابولا السرياني الرهاوي ببراعته الدقيقة ووشاها برسوم لطيفة انيقة وجداول متقنة في دير مار يوحنا بجانب زغبا او زغبة احدى مدن سورية الواقعة غربي الفرات . وانتهى من كتابتها وتنسيقها عام ٥٨٦ م. وكانت تلك النواحي يومئذ خاضعة لامراء غسان النصارى حلفاء ملوك الروم[1] وعلى كرور الاحقاب حصلت تلك الخريدة الثمينة في حوزة بطاركة السريان الموارنة بلبنان نحو القرن الثالث عشر للميلاد . اذ ورد فيها ذكر ستة منهم وهم : البطريرك داتيال الحدشيتي (١٢٧٨–١٢٨٢) والبطريرك ارميا الدملصاوي (١٢٨٢ – ١٢٩٧) والبطريرك يوحنا الحاجي (١٤٠٤ – ١٤٤٥) والبطريرك يعقوب الحدثي (١٤٤٥ – ١٤٦٨)[2] والبطريرك بطرس حسان الحدثي (١٤٦٨ – ١٤٩٢) والبطريرك شمعون الحدثي (١٤٩٢ – ١٥٢٤).

وبعد هذا التاريخ انتقلت هذه المخطوطة الثمينة الى فلورنسة بايطالية وضمت الى مكتبتها الشهيرة . واستوفى وصفها عام ١٧٤٢ العلامة السيد اسطفان عواد مطران افاميا الماروني في صدر مؤلفه المشتمل على وصف المخطوطات السريانية والعربية المصونة في تلك المكتبة العامرة . ووشى وصفه هذا بما انطوت عليه تلك المخطوطة الجميلة من الصور الشائقة والجداول او اللوائح المحكمة . والى القراء وصف تلك الصور البالغة ٢٦ صورة :

الصورة الاولى

تمثل هذه الصورة البيّنة سيدنا يسوع المسيح عز شأنه يحدق به رسله الابرار . وقد كتب رابولا الناسخ اسماء كل من بطرس ويعقوب وتوما في السريانية ورسم في اسفلها صورتي مرقس ولوقا البشيرين

١) مخطوطة لندن ١٢٥٦ صفحة ٧٠٦ وفيها ذكر بولس رئيس دير مار يوحنا في زغبا .

٢) روى البطريرك الدويهي في تاريخه ان البطريرك يعقوب توفي عام ١٤٥٨ وخلفه البطريرك بطرس (تاريخ الازمنة . طبع الاب فردينان توتل اليسوعي : ٢١٠ و٢١١).

الصورة الثانية

تمثل سيدتنا مريم العذراء المغبوطة حاملة طفلها يسوع الحبيب على ذراعيها وهي واقفة ضمن هيكل يحفه نسران في ناحيتيه كلتيهما .

الصورة الثالثة

امونيوس الاسكندري واوسابيوس القيصري واقفين . وقد اثبت الناسخ النجيب صورتيهما لانهما يُعَدّان في طليعة الذين ضبطوا فصول الاناجيل وعناوينها .

الصورة الرابعة

اورد الناسخ تحت اسم « قانون » ما اتفق في كتابته وتدوينه الانجيليون الاربعة او الثلاثة او الانجيليان . وكسّر ذلك على عشرة قوانين : فالاول انطوى على ما اجمع الانجيليون الاربعة على اثباته . ونقش هناك صورة موسى الكليم وصورة اهرون اخيه . ثم صور جبرائيل رئيس الملائكة وزكريا الكاهن وحمامتين وخروفٍ يرعى .

الصورة الخامسة

يشاهد في الوسط رسم سيدتنا مريم العذراء وآية « ها انا أمةٌ للرب » . ورسم جبرائيل رئيس الملائكة وآية « السلام لك يا مريم يا ممتلئة نعمة ». ثم صورة يشوع بن نون وسموئيل الكاهن . واشكال حمام وحجل وأيائل .

الصورة السادسة

تمثل هذه الصورة الانيقة الدقيقة ميلاد سيدنا يسوع المسيح . وداود الملك وابنه سليمان . وفي اسفل الصورة اطفال بيت لحم واربعة فتيان .

الصورة السابعة

القانون الثاني . يتضمن ما اتفق في تدوينه ثلاثة انجيليين . ويشاهد في الوسط رسم العذراء مريم وخطيبها القديس يوسف . وفي العلو صورة هوشع ويوئل النبيين . وهناك ست اجاجين عرس قانا الجليل وصورة رجلين .

الصورة الثامنة

تمثل النبيين عموس وعوبديا وشجرتين لطيفتين. والى اليمين شخصان واقفان. والى اليسار شخصان كذلك وامرأة.

الصورة التاسعة

يونان النبيّ راقدًا في ظلّ خروعةٍ والى يساره ميخا النبيّ وفي وسط النبيّين صورة العذراء المتبرطة ومار يوسف خطيبها . ثم صورة العذراء كذلك والبشاع نسيبتها . وهناك اشكال حمامات وغزلان وما اشبه ذلك من الطيور.

الصورة العاشرة

صورة ناحوم وصفنيا النبيّين . وعبارة حمصر ﻟﻬﻮ ﻣﺴﻴﺤﺎ بسم الله الحيّ» وفي الوسط صورة سبعة فتيان . وعلى هذه الصفحة كتب البطريرك ارميا الدملصاويّ (١٢٨٢ — ١٢٩٧) بخطّ يده في السريانية يصف زيارته للبطريرك دانيال سالفه وسيامته مطرانًا ثم بطريركًا . وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

الصورة الحادية عشرة

القانون الثالث . ينطوي كذلك على ما اتّفق في تدوينه ثلاثة انجيليّين. وهناك قبّة بديعة حولها اربع حمامات . وصورة ايّوب الصدّيق واشعيا النبيّ . وثلاثة فتيان في اسفلهم صورة ثور.

الصورة الثانية عشرة

القانون الرابع . يحوي كذلك ما اتّفق في كتابته ثلاثة انجيليين . وهناك قنطرة الى يمينها حبقوق النبيّ والى يسارها حجّاي النبيّ . وفي الوسط شخصان واقفان وفي اسفلها صورة وعل.

الصورة الثالثة عشرة

القانون الخامس . يتضمّن اتفاق انجيليّين في ما كتباه . وتشاهد صورة ارميا وزكريا النبيّين وقنطرة حولها حمامتان واربعة اغصان زنبق . وفي الاسفل ثلاثة فتيان وسوسنة.

الصورة الرابعة عشرة

حزقيال ودانيال النبيّان يعلوهما شكل طاووسين جاثين بينهما اناء زهر (مزهريّة) وزنبقتان. ثم ثلاثة فتيان وشخص يبارك بيمينه.

الصورة الخامسة عشرة

القانون السادس . يتضمّن كذلك اتّفاق انجيليّين في ما دوّناه . وصورة

النبيين ملاخي والبشاع . وفي الوسط انجيلٌ يبارك بيمينه . وبيساره كتاب الانجيل . وهناك رجل آخر جالساً وبيده درج . وتُشاهَد كذلك قبة فوقها حجلتان يتوسّطها اناء زهر .

الصورة السادسة عشرة

القانون السابع . يتضمّن كذلك ما اتّفق في اناجيل . والى اليمين متى الرسول يبارك بيمينه وفي يساره صحيفة مرقومة بالسريانيّة . والى اليسار يوحنا الرسول وبيديه كلتيهما دَرْج دُوّن فيه الآية الاولى من انجيله : ⟨ ⟩ في البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله » .

الصورة السابعة عشرة

القانون الثامن يشتمل على ما رواه البشيران مرقس ولوقا . وقد رسم الخطّاط رابولا صورة البشيرَين الموماً اليهما . فمرقس يبارك بيمينه وكتاب الانجيل بيساره ، ولوقا يبارك بكلتا يديه حاملاً كتاب الانجيل .

الصورة الثامنة عشرة

القانون التاسع . يتضمّن ما اتّفق في تدوينه لوقا ويوحنا . والى اليمين ثلاثة اشخاص والى اليسار شخصان . وهناك قبة مستديرة تكتنفها اشكال حمام وحجل .

الصورة التاسعة عشرة

ما تفرّد في كتابته متى الرسول دون الانجيليين الثلاثة . وقد رسم رابولا النجيب بريشته الدقيقة ثلاثة فتيان فوق زنبقة . وثلاثة اشخاص بيد الوسطاني كتاب الانجيل الشريف وكلا الشخصَين يصغيان اليه . وفي اسفل الرسم شخص بيمينه عصا وقد وضع يسراه على كتف صبيّ .

الصورة العشرون

القانون العاشر . ما تفرّد بكتابته مرقس البشير . وتشاهَد صورة سيّدنا يسوع المسيح عزّ شأنه متّكئاً جحثاً والى يمينه بطرس رئيس الرسل وامامه اربعة فتيان يفرشون سعف النخل في الطريق . والى يسار المخلّص الرسل الاحد

الصورة ١٤ من مخطوطة المكتبة الفاتيكانية

الصورة ١٦ من مخطوطة المكتبة فلورنسة

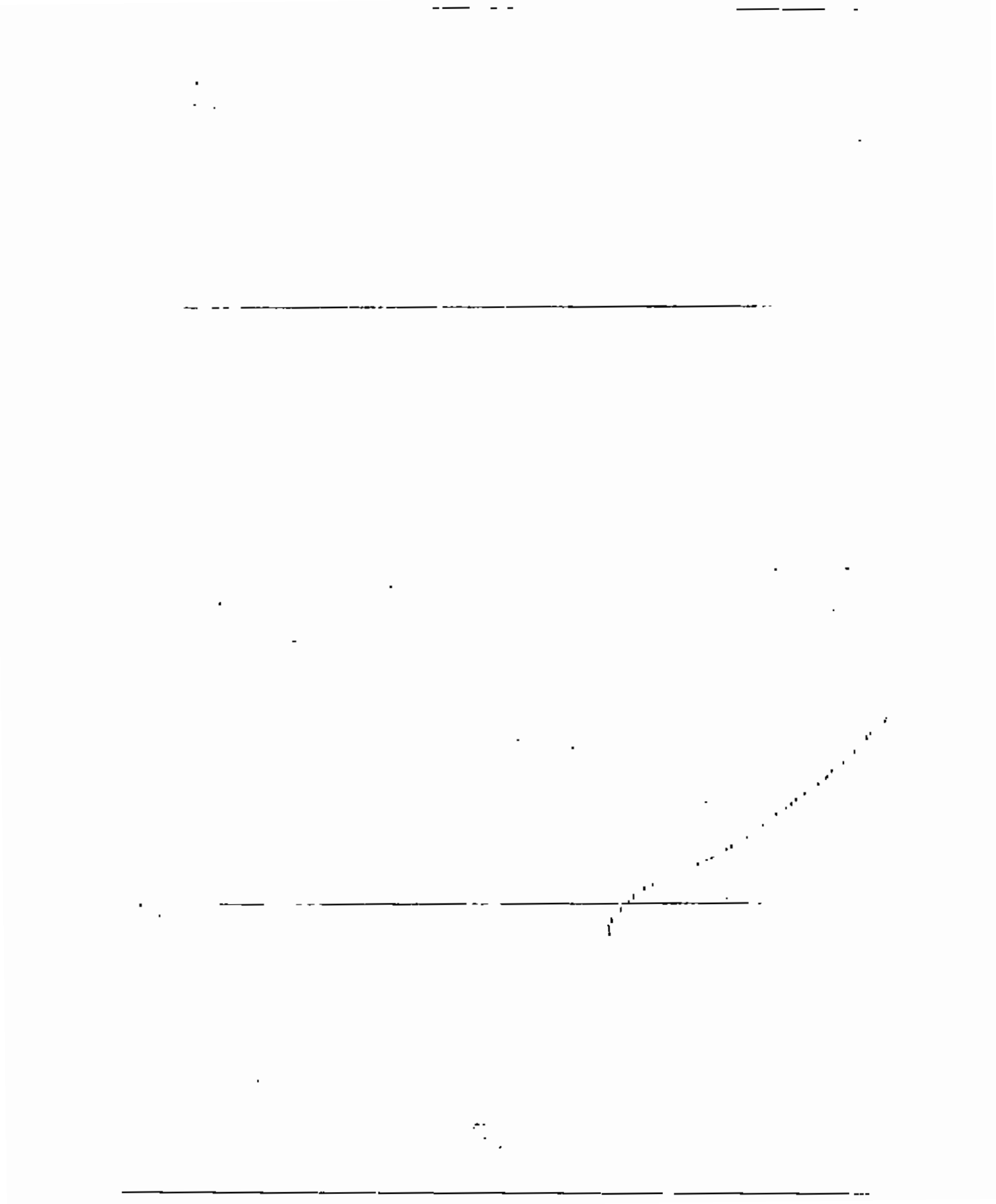

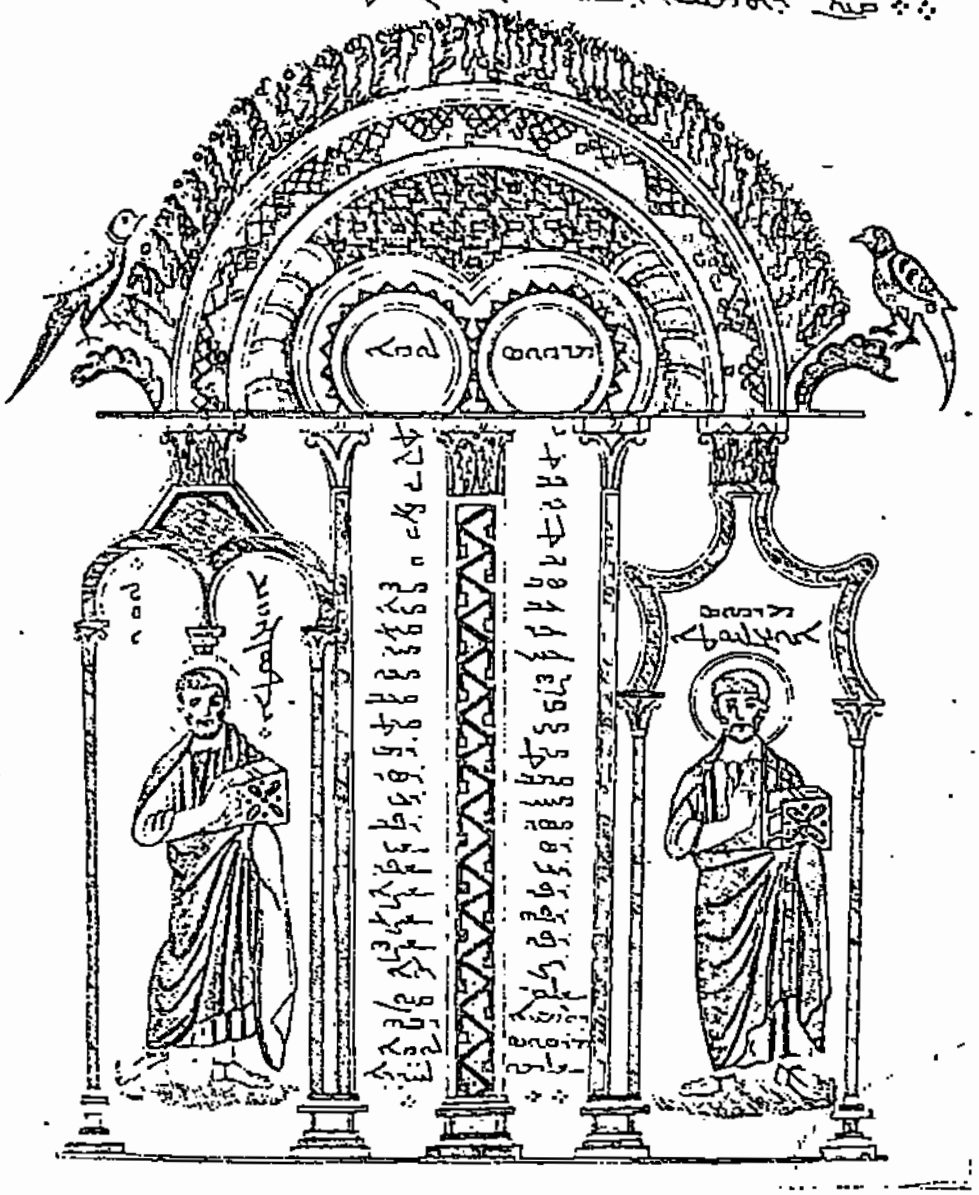

الصورة ١٧ من مخطوطة مكتبة فلورنسة

الصورة ٣٣ من مخطوطة المكتبة الفاتيكانية

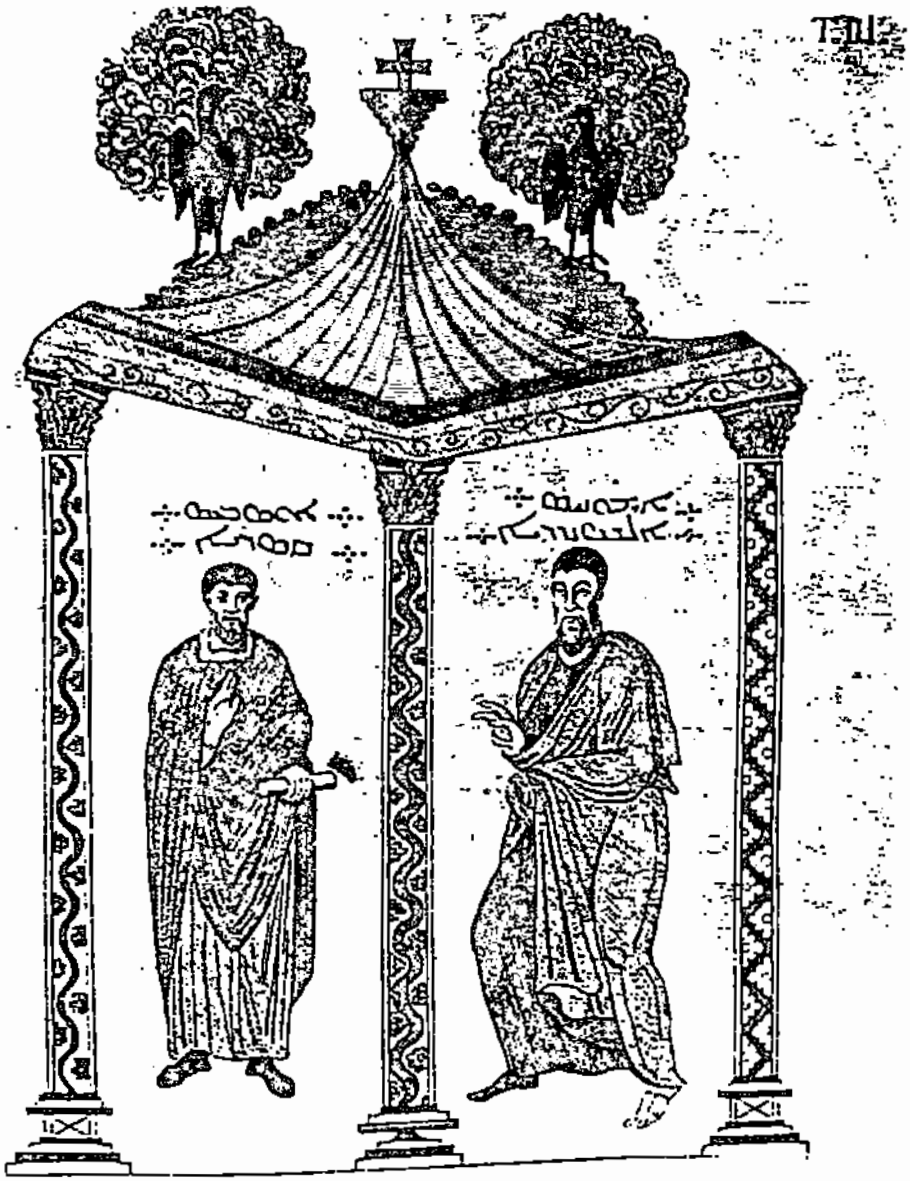

الصورة ٣ من مخطوطة مكتبة فلورنسة

P 5C1

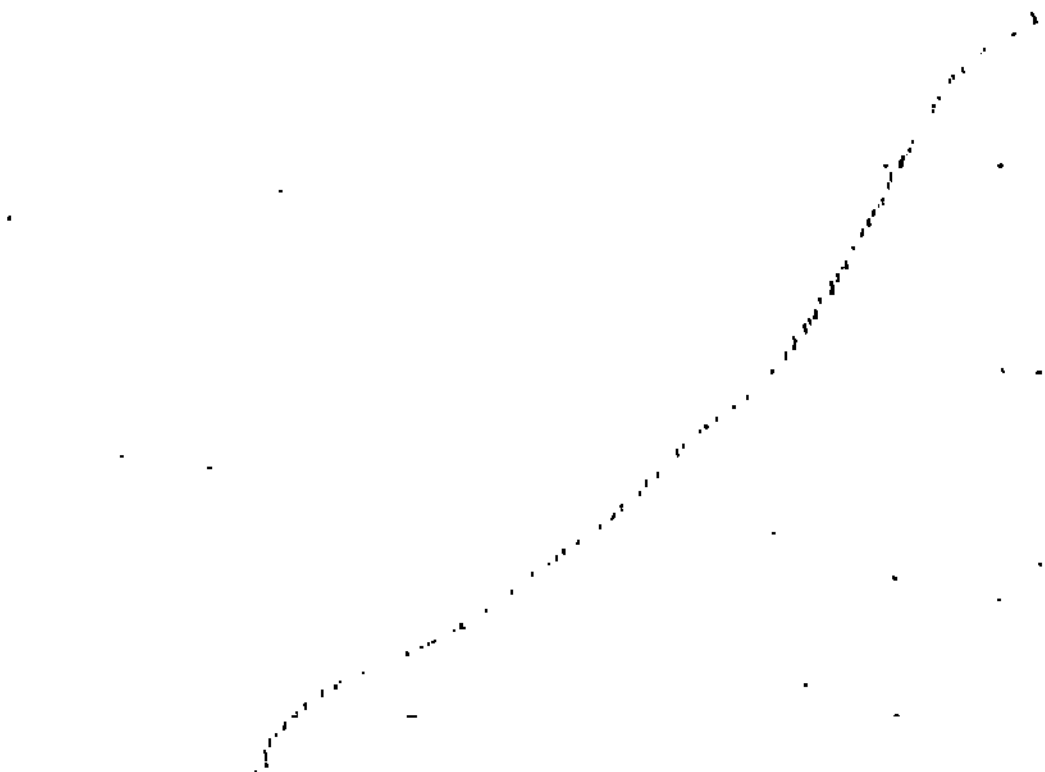

عشر وقد مدّ يسوع يده لينهض احدهم. وحول القبّة صنوف طيور مجنحة. وهي صورة غاية في الروعة والبهاء والجمال.

الصورة الحادية والعشرون

القانون العاشر ايضاً. يتضمّن ما تفرّد بكتابته لوقا البشير. وتُشاهَد صُوَر الانجيليين الاربعة في يد احدهم سعف نخل وفوقهم قبّة مستديرة حولها اشكال زهور وطيور. والى اليسار صورة يهوذا الدافع وكتابة سريانيّة تعريبها: «ذهب يهوذا الاسخريوطيّ واشترى مخنقة وخنق حلقه في شجرة» وتُشاهد تحت يهوذا حبال ضخمة.

الصورة الثانية والعشرون

القانون العاشر ايضاً. يشتمل على ما تفرّد في تدوينه يوحنا الرسول وتشاهد صورته والى جانبه فتى واقفاً والى يساره شخص يبارك. وهناك قنطرة حولها سنابل ملتفّة وفوقها حمامات جاثمة.

الصورة الثالثة والعشرون

أجمع الأثريّون البيعيون على ان هذه الصورة التي رسمها الراهب رابولا السرياني ليسوع فادي العالمين معلّقاً على الصليب هي باكورة صور يسوع المصلوب على الاطلاق[1]. فقد رسم هذا المصوّر الحاذق الورع صورة المخلّص عزّ شأنه موشّحاً بثوب ارجوانيّ مذهّب وهامته المقدّسة مزدانة بشعاع منير بهيّ فوقها كتابة كلمتين سريانيتين معناهما «يسوع ملك اليهود». والى يمين الكتابة ويسارها الشمس والقمر. وصوّر ذراعَي الفادي معرّقين ويدَيه وقدَميه مسمّرة باربعة مسامير والى يمين المصلوب ويساره اللصّان عليهما ازار يستر عريهما فقط. ثم يشاهَد الى يمين المصلوب العذراء الحزينة يوحنا الحبيب. والى يساره ثلاث نساء. وتحت المصلوب ثلاثة رجال يُلقون القرعة على ثيابه. ويشاهَد كذلك لنجينوس القائد الى يمين المصلوب يطعنه بحربة واسمه مكتوب بحروف رومية. والى اليسار جنديّ يقدّم ليسوع اسفنجاً مبتلاً بخلّ ومرارة.

وتحت هذه الصورة المؤلمة المؤثرة يشاهد في الوسط ملاك يدحرج الحجر عن

---

١) المشرق ٧ (١٩٠٤) ٢٦٨—٢٠٠

باب القبر. وفي اسفل القبر جنديان راقدان . والى اليمين يسوع المخلص يبارك امرأتين جاثيتين. والى اليسار ملاك يبشر العذراء والمجدلية بالقيامة المجيدة.

الصورة الرابعة والعشرون

قيامة يسوع المخلص وصعوده ممجداً ظافراً. والى يمينه ويساره اربعة ملائكة، وهناك جماعة الرسل الاصفياء بيد احدهم عصا يملوها صليب. وفي وسط الرسل ملاك متوشحاً بحلة لطيفة يخاطبهم عن صعود الربّ الى السماء.

الصورة الخامسة والعشرون

يسوع الفادي مستوياً يبارك الحضور بيمينه . يكتنفه انجيليان الى يمينه وانجيليان الى يساره بيد احدهما كتاب الانجيل المقدّس. ويعلو الصورة شكل طاووسين غاية في الروعة والجمال .

الصورة السادسة والعشرون

تمثل الروح القدوس هابطاً من السماء بشكل حمامة بديعة على سيدتنا مريم العذراء في علية صهيون يحف بها آباؤنا الرسل الاثنا عشر فوق هامة كلّ منهم شكل لسان ناريّ. وقد رفعت العذراء يمينها تباركهم. وفوق القنطرة يميناً وشمالاً ثماني سنابل خضراء جميلة. وتُعدّ هذه الصورة من أبدع الصور وأروعها وألطفها.

تاريخ نساخة المخطوطة معربة عن السريانية

اثبت الراهب رابولا في الصفحة ٢٩٢ من مخطوطته هذه البديعة ما تعريبه:

« المجد للآب والابن والروح القدس . الذي عضد عبده الخاطئ الذليل ربولا الناسخ فكتب هذا الكتاب . اني اتوسّل الى كلّ من يطالعه ان يصلي لاجلي كي يتحنن الربّ عليّ يتحنّنْ على اللابس السيمن بشفاعة القديسة مريم والدة الله الدائمة بتوليتها وبأدعيتكم يا اخوتي وهبان دير مار يوسنا. انتهى الكتاب في نصف شهر شباط سنة ٨٩٧ للاسكندر (٥٨٦م) . . في دير مار يوحنا في زغبا . بأيام محبّ الله القسّ سرجيس رئيس الدير . ونونا العفيف والقسيسين نونا ومرطور . والشمامسة حبش وتاطلفنا ودميان وسائر الرهبان . نسأله تعالى ان يحرس الدير وساكنيه من الاضرار الخفيّة والجليّة . ويجعل الامن والسلام سائداً في الدنيا كل الايام بجاه الشهداء محبيه ومحبي ظهوره وقد ماتوا على رجائه .

« فليكن تذكار صالح امام الله ومسيحه وروحه الحيّ القدوس لمن تعب في هذا الكتاب وكتبه. فليرتفعه المسيح الاهنا في مجد ملائكته للقيامة المباركة من بين الاموات ويسمه

العبارة المقسة بهجة وهي : « سلام يا عبدًا صالحًا وامينًا . كنتَ امينًا في القليل . انا اقيمك على الكثير . ادخل الى فرح سيدك » بجاه الرسل المنبوطين والقدّيسين الذين اكملوا مشيئته تعالى آمين

« كلّ من يطالع هذا الكتاب فليصلّ لاجل أصفياء الله الاعناء المستأهلين الذكرى الصالحة : القس يوحنا والشماس يوحنا المتوفّين . لانه بجهودهما تمّ انشاء مكتبة الدير . ولاجل كرمطفور الفاضل الزاهد والقس مرطور والفقيه دميان الذين انجزوا العمل بهمتهم ونظّموا وقابلوا وجلّدوا هذه الكتب ووضعوها في دير مار يوحنا في زغبا . ولاجل كلّ من شاركهم في ذلك . فليبارك ربنا والاهنا ومخلّصنا يسوع المسيح كلّ ما لهم حاضرًا وغائبًا . ويجعل ذكرًا صالحًا لاواخرهم ورجاء مباركًا لخلاصهم . ويبلغهم نصيب القدّيسين عندما يدعوهم ويقيمهم من التراب قائلًا لهم : « هلموا يا مباركي ابي رثوا الملك المعدّ لكم منذ انشاء العالم ». بصلوات الكنيسة المؤمنة جماء المنتشرة في اقطار الارض كلّها وبشفاعة سيّدتنا مريم والدة الله الدائمة بتوليّتها .

« هذا الكتاب يخصّ رئيس دير مار يوحنا المعدّس في زغبا . كلّ من يأخذه او يطلبه ليطالعه او ينقل عنه او يقابله ويستبدّ به او يقطع منه ورقة مكتوبة او غير مكتوبة تكون حصّته مع سرّاق المقدس .

« بعد وفاة القس رومانس زائر انطاكية قد وُهب هذا كتاب الانجيل لكنيسة مار جرجس . ليكون ذكرًا صالحًا للقس رومانس المذكور ولقسطنطين رفيقه . نسأله تعالى ان يجعل لهما ذكرًا صالحًا في قيامة الابرار والصدّيقين . بشفاعة الام المباركة وجميع القدّيسين آمين . وانْ اتأسّست كنيسة غيرها في المدينة فليكن هذا الكتاب لها في كلّ حال ».

وجاء في الصفحة ١٧ من مقدّمة الكتاب عند الصورة العاشرة بخطّ يد البطريرك ارميا الدملصاوي ما تعريبه :

« في السنة ١٥٩٠ يونانيّة (١٢٧٩ م) في ٩ شباط جئتُ انا الحقير ارميا من قرية دملصا المباركة لزيارة البطريرك بطرس (دانيال الحدشيتي بطريرك الموارنة (١٢٧٨ — ١٢٨٣) في دير سيّدتنا مريم (العذراء) بمقوق بوادي ابليج ببلد البترون . فوضع اليد عليّ ونادى في مطرانًا على دير كفتون المقدّس المؤسس على ضفّة البحر . ومكثت هناك (أيامًا) . وكان يسكن الدير يومئذٍ الرهبان : حزقيال واشيا ودانيال ويشوع وابليا وداود ورفاقهم وهم ٣٠ راهبًا .

« وبعد اربع سنوات (سنة ١٢٨٢) استدعاني ملك جبيل مع الاساقفة والموارنة والقسّان والقرعة فوقعت عليّ ونصبوني بطريركًا في دير حالات المقدّس . ثم ارسلوني الى دوبية المدينة العظمى فاقمتُ اخانا الاسقف تيودورس ليسوس الرعية ويحافظ عليها ».

وبعد ذلك ورد ما مفاده :

« في ٨ ايلول ١٦٦٥ ؟ (١٦٦٥ م) حضر عندي انا بطرس بطرك الموارنة (بطرس

يوحنا الجاجي ؟ (١٦٠٦ – ١٦٦٥) الجالس على الكرسيّ الانطاكي والمقيم في دير سيّدة ميفوق بوادي ايليج : ولدنا الراهب اشعيا من دير قزحيا فنصبتُه رئيساً على الرهبان المقيمين في دير مار يوحنا دير الكوزبندو بجزيرة قبرس . حسبما ورد من اولادنا الرهبان بخطّ ايديهم وهم : جبرائيل وشمعون وحبقوق وميخائيل . وللربّ المجد آمين » .

يلي ذلك بخطّ البطريرك يوحنا الجاجي عينه :

« انا بطرس يوحنا الجاجي بطريرك الموارنة الجالس على الكرسيّ الانطاكيّ والقاطن دير سيّدتنا مريم (العذراء) بميفوق . حضر عندي من دير كوزبندو القسّ متّى الجليل الذكيف . فدفعت له ثلاثمائة دينار وزجاجة ميرون لاجل ذلك الدير . وكتاب توراة موسى باللغة العربيّة . وكتاب الناموس وكتاب الايمان . ولله المجد الى الابد » .

ثم ورد كذلك ما خلاصته :

« لمّا كان تاريخ ١٧٢٢ لليونان (١٦١١ م) اوقف المتوري جرجس والمتوري هلال المقيمان في دير حوقا . . . لدير سيّدة قنوبين المبارك دستاً كبيراً . . . وكان الوقف في زمان ابينا ومعلّمنا ورئيسنا وتاجنا ومدبّرنا البطريرك مار يعقوب (الثالث الحدثي) . (١٦٦٥ – ١٦٦٨) . . . .

ثم ورد ايضاً :

« لمّا كان تاريخ سنة ١٧٧٣ من سني اسكندر (١٦٦٢ م) اوقف البطرك يعقوب العصا البلّور لدير قنوبين المبارك عن روحه وعن الاب البطرك بطرس (يوحنا الجاجي) . من يخرجه من الدير المبارك او يدّعي انه له او يرهنه او يبيعه يكون محروماً مفروزاً منضوباً ومسخوطاً من الله ومن كوميّ مار بطرس ومن جميع الكراسيّ ومن حفارتنا » .

وجاء في الصفحة ٢٠ من المقدمة :

« لمّا كان تاريخ سنة ١٨٠٤ يونانية (١٦٩٣ م) اوقف البطريرك بطرس بن داود بن حسان (١٦٦٨ – ١٦٩٣) من قرية الحدث : البدلة الحمراء والعصا الفضّة . . عن نفسه لدير سيدة قنوبين . . . وشهد على ذلك الاب المطران جرجس من قرية جاج . والمتوري سمعان ابن حميد من قرية الحدث وكاتبه دانيال . . . »

اخيراً ورد في ذات المخطوط ما نصّه :

« لمّا كان تاريخ سنة ١٨٢٧ يونانية (١٥١٦ م) ارسل بابا رومية (لاون العاشر (١٥١٣ – ١٥٢١) الى البطريرك بطرس بن داود المكنّى ابن حسن من قرية الحدث المباركة على يد الراهب فرنسيس وئيس القدس وترجمانه : غطا مذبح وكفاً مزركشاً . . . وحللاً كهنوتية مقصّبة بذهب . . وبدلة مزركشة بذهب وفضّة . وغفارتين مزركشتين وتاجاً مرصّعاً باللؤلؤ . وثلاث بدلات جوخ . وبدلتين جوخ لالياس بن يوسف مقدّم الموارنة . وعشر بدلات جوخ لرهبان الدير » .

وهناك عدّة كتابات تنوّه بأوقاف دير قنوبين في كفرشخنا وداريا وكفرزينا وكفرفو وسرعل أضربنا عن اثباتها .

فيتحصل من كل ما سبق ان هذا كتاب الانجيل المصوّر ظل اكثر من ثلاثة قرون في حوزة البطريركية السريانية المارونية ثم انتقل في القرن السادس عشر الى فلورنسة . ولا يزال يزين مكتبتها العامرة حتى يومنا .

ثانيًا — مخطوطة المكتبة الفاتيكانية

حصلت هذه مخطوطة الاناجيل السطرنجيلية الموشّاة باربع وخمسين صورة انيقة دقيقة ملوّنة في حوزة احبار السريان الكاثوليك الطبّي المآثر في الموصل. انتقلت اليهم من بابية بغديدا او خوديدا (قرقوش) العامرة . فحافظوا عليها محافظتهم على اقدس كتاب واثمن تراث . وفي السنة ١٩٣٧ تخوّف راعي الابرشية السيد قرلّس جرجس دلال الجليل ان يصيب الكتاب ما اصاب غيره من المخطوطات النفيسة. فاتفق مع الاكليرس والاعيان ونقله الى عاصمة الكثلكة ورفعه هدية بنوية باسمه واسماء اولاد رعيته الى حبر احبار بيعة الله المقدسة البابا بيوس الحادي عشر الذي امتاز بشغفه بالمخطوطات القديمة النادرة . فطالعه ورقة فورقة وابتهج الابتهاج كله بمضامينها ورسومه المزركشة اللطيفة . ثم اهداه الى المكتبة الفاتيكانية العامرة وسجّله بمديرها الفاضل تحت رقم ٥٥٩ .

ثم اوعز الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر الى المستشرق اليسوعي الافرنسي G. de Jerphanion الشهير فتولّى وصف المخطوطة يساعده في عمله رهط من اساطين المكتبة فاكبّ على ذلك حتى السنة ١٩٤٠ ونشر مجلّدين بعنوان « تصاوير فنية » ضمّن احدهما وصف الكتاب وثانيهما وصف الصور . فجاء مؤلفًا فريدًا خطيرًا يجدر بمكتبات الغرب والشرق ومحبي الآثار الدينية ان يقتنوه كي يقفوا على براعة الخطاطين السريانيين وعبقريتهم .

على اننا اطلعنا نحن على تلك المخطوطة النفيسة قبل نقلها الى رومية وقلّبنا صفحاتها وفحصنا مضامينها . وهي تنطوي على ٢٣٨ ورقة اعني ٤٧٦ صفحة في كل صفحة ٢٣ سطرًا. طولها ٤٤ س. في عرض ٣٢ وسمك ١١ كتبت عناوينها بحبر احمر ومتونها بمداد اسود . ما عدا عشرة فصول ترتل في المواسم الكبيرة

دوّنها الناسخ العبقري بحروف ذهبية طريفة وهي ١ — فصل احد تدشين الكنيسة ٢ — احد بشارة العذراء المغبوطة ٣ — ميلاد المخلص ٤ — عماده ٥ — دخوله اورشليم بحفاوة اوشعنا ٦ — قيامته المجيدة ٧ — ظهوره للرسل في علية صهيون ٨ — صعوده الى السماء ٩ — حلول الروح القدوس ١٠ — تجلّي الفادي في طور تابور .

اما نص الاناجيل فأغلبه منقول عن النسخة المشهورة بالبسيطة ܦܫܝܛܬܐ القديمة العهد . وبعضه منقول عن الترجمة المنسوبة الى توما الحرقلي (†٦٢٨م) التي تفرّد بها السريان اليعاقبة دون سائر الملل السريانية كالملكيين والموارنة والسريان الكاثوليك والكلدان والنساطرة .

اما صور المخطوطة فهي من ادق الصور واجملها واتقنها . منها ما يتجاوز حجمه ٣٠ س طولًا و٩ عرضاً . وطول اغلبها ١٠س في عرض ٨ س. وتشاهد بعض تلك الصور مشوّهة لكثرة تقبيل المؤمنين او لسبب ما لحقها من الرطوبة ومنها ما يستّرها قماش رقيق صيانة لرونقها والوانها . وهي تمثل سيدنا يسوع المسيح وتدبيره الخلاصي وعجائبه الباهرة منذ الحبل به حتى صعوده وارساله روحه القدوس .

والى القراء الاعزاء تعداد الصور مع وصف وجيز :

١ — صورة موسى الكليم وامامه مكتب كأنه متأهب ليدوّن اسفاره الخمسة . والى جانبه دلبة يعلوها شكل يد . وفي الاسفل صورة يوحنا الانجيلي الرسول منتصباً وامامه كذلك مكتب والى جانبه ارزة . وهي من ابدع ما رسمته ريشة نقاش . وفي اعلى هذا الرسم ايضاً يدٌ ممدودة كأنها تشير الى الوحي . فموسى يشير الى العهد القديم ويوحنا الى العهد الجديد .

٢ — زكريا الكاهن واقفاً في مذبح البخور والى يمينه جبرائيل رئيس الملائكة وبين كليهما حمل قد احضره زكريا ليقرّبه ضحية كمألوف العادة في العهد القديم .

٣ — مريم العذراء المغبوطة واقفة ضمن خدرها وجبرائيل منتصباً يخاطبها . وبين كليهما حمامة لطيفة اشارة الى الروح القدوس .

٤ — العذراء مريم والبشباع نسيبتها تتصافحان .

٥ — ثلاثة كهنة يتقدّمهم زكريا بيده لوحة رقم عليها مصلح ٥٥ هكذا اسمه يوحنا » .

٦ — يوسف خطيب العذراء والملاك يخاطبه قائلاً : لا تخف ان تأخذ مريم خطيبتك . لان المولود بها هو من روح القدس .

٧ — يسوع الطفل مضطجعاً في مذود . ثم صورته كذلك يرحب بثلاثة مجوس حاملين اليه الهدايا يعلوهم نجم وملاكان . وهناك كذلك بعض الرعاة .

٨ — مريم العذراء المغبوطة وعلى ذراعيها يسوع الطفل ابنها وهي من اتقن الصور واجملها .

٩ — جنود بيدهم سيوف ليفتكوا باطفال بيت لحم .

١٠ — اطفال وامهاتهم وقد استل الجنود سيوفهم ليذبحوهم .

١١ — يسوع المخلص هارباً الى مصر . فالعذراء راكبة جحشاً وعلى ذراعيها نجلها المجيد . ويوسف خطيبها يسبقها ماشياً .

١٢ — يسوع الشاب يشتغل في بيت الناصرة .

١٣ — اسطفانس رئيس الشمامسة يرجمه اليهود . ويعلو الصورة يسوع المخلص يشجّع الشهيد على احتمال العذاب .

١٤ — عماد يسوع مخلصنا . فوق هامته حمامة اشارة الى الروح القدوس . والى جانبيه ملاكان بيد كلّ منهما منديل . وبالقرب من يوحنا دلبة لطيفة .

١٥ — يسوع الفادي يحادث تلميذي يوحنا وهما يسألانه : أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر ؟

١٦ — قطع هامة يوحنا المعمدان . فيشاهد السيّاف منتضياً سيفه والملاك بيده اكليل ليتوّج هامة الشهيد .

١٧ — انطونيوس ابو الرهبان يحيط به اربعة منهم فالرهبان متوشحان بالاسكيم والآخران بحلّة حبريّة . كأنّ المصوّر الذكي يشير الى اصطفاء الاحبار نوّاً من فئة الرهبان طبقاً للتقليد اليعبيّ القديم .

١٨ — شمعون الشيخ في هيكل اورشليم وملاك جاثم فوق شجرة دلب .

١٩ — شمعون الشيخ حاملاً يسوع الطفل على ذراعيه والى يمينه العذراء واقفة .

٢٠ — يوسف الصدّيق حاملاً زوجي حمام . وحنّة النبية بيدها دَرَج .

٢١ — يسوع المخلّص والعذراء والدته في عرس قانا الجليل .

٢٢ — المدعوّون الى العرس وبيد احد الخدّام جرّة يصبّ منها الماء في الاجاجين .

٢٣ — يسوع الفادي يشفي الابرص والابرص جاثٍ امامه .

٢٤ — قائد المائة جاثياً امام يسوع يلتمس منه ان يذهب ويشفي فتاه (متى ٨ : ٦) .

٢٥ — يسوع المخلّص يبعث ابنة يوارش من الموت .

٢٦ — قائد المائة يلتمس من يسوع ليذهب الى بيته . وتُشاهد كذلك المرأة النازفة الدم تلمس طرف ثوبه فتبرأ للحال .

٢٧ — يسوع باسطاً يديه ليفتح عيني الاعمى .

٢٨ — يسوع في نائين يبعث ابن الارملة من الموت والجماهير تكتنفه .

٢٩ — خصّص الراهب مبارك البطلي صفحتين من الكتاب دبّجها برسوم الشهداء الاربعين بيد اغلبهم سعف نخل فوق ثلاثة صلبان او صليبين او صليب واحد . وهذه الصورة محفوظة حفظاً جيّداً .

٣٠ — يسوع المخلّص في بيت سمعان الفريسي . ومريم الخاطئة جاثية امامه تغسل قدميه .

٣١ — مريم ومرتا جاثيتين امام يسوع .

٣٢ — يسوع يُنهض لعازر حيّاً من القبر ملفوف اليدين والرجلين .

٣٣ — صورة مهيبة جميلة جدًّا تمثّل يسوع الفادي مستوياً على جحش . فالرسل والتلاميذ والجموع يحتفون به بترانيم اوشعنا . والاطفال جاثون فوق اغصان الشجر وبيد بعضهم سعف النخل . وهناك قوم من اليهود يتفاوضون . وفي أعلى الصورة اشجار زيتون جاثمة بعض الطيور في اغصانها .

٣٤ — يسوع عند بركة بيت حسدا . والمخلّع حاملاً سريره . والملاك يرفّ فوق البركة .

٣٥ — القبض على يسوع المخلّص . ويشاهد شيخان الى اليمين ويهوذا الى اليسار يتشاورون .

٣٦ — يسوع يغسل اقدام الرسل وهو جاثٍ امام بطرس رئيسهم .
٣٧ — يسوع على مائدة العشاء السرّي . وحمل وأباريق ورسم ديك .
٣٨ — يسوع والرسل وبيده كأس يقدّمها لبطرس ليشربها .
٣٩ — اليهود يقبضون على يسوع مخلّصنا .
٤٠ — اليهود يوثقون يسوع فادينا .
٤١ — بطرس رئيس الرسل جالساً عند الباب منتحباً باكياً تتحدّر الدموع من مقلتيه . ثم صورة جنديّ ويهوديّ وامرأة . وفي اللو ديك يصيح .
٤٢ — يسوع المخلّص مسمّرًا على الصليب وبجانبه العذراء والدته ولونجينس يطعن جنبه . وشرذمة من اليهود حوله .
٤٣ — يسوع يتنزّل عن الصليب بحضور العذراء والدته ويوحنا الحبيب والمجدلية .
٤٤ — يوسف الرامي ونيقوديمس ينزلان المخلّص عن الصليب .
٤٥ — يسوع عزّ شأنه منبعثاً من القبر وبيده صليب . ثم العذراء وبعض الرسل .
٤٦ — ملاك هابط من السماء واقفاً عند القبر . ونسوة حاملات الطيوب . وقد ظهر لهنّ المخلّص . وبعض الحرّاس . واللفائف والعمامة .
٤٧ — يسوع ولوقا وقليوفا تلميذا عماوس .
٤٨ — ظهور المخلّص للرسل في العلّية وتوما جاثياً امامه وقد مدّ يده ليضع اصبعه في جنب يسوع الاقدس .
٤٩ — يسوع الفادي صاعداً الى السماء يحيط به أجواق الملائكة . ويشاهد الرسل الاحد عشر تتوسّطهم العذراء المجيدة باسطة ذراعيها . وجميعهم يتفرّسون في يسوع صاعداً .
٥٠ — يسوع المخلّص مستوياً على العرش يبارك بيمينه وعكاز بيساره . وثلاثة رسل الى يمينه وثلاثة الى يساره .
٥١ — صورة بديعة شائقة جداً تمثّل الرسل الاثني عشر في العلّية وهم جالسون بهيئة مستديرة . والروح القدس هابطاً عليهم وألسنة ناريّة مندفقة كأشعّة الشمس فوق هاماتهم .
٥٢ — يسوع الفادي جالساً عند البئر يحادث السامريّة وبيدها جرّتها . وثلاثة رسل قادمين ليشاهدوا يسوع .

٥٣ – تجلي الربّ في طور تابور الى عبده موسى والى يساره ايليا . وفي اسفل الصورة بطرس ويعقوب ويوحنا راقدين .

٥٤ – قسطنطين الكبير وامّه هيلانة الزهاويّة يتوسّطها الصليب الكريم وقد قبض كلّ منهما عليه . وهي من أجمل صور الكتاب وأحلاها .

هذا مجمل وصف الرسوم المزيّنة هذا الانجيل المبارك . على ان الناسخ النجيب بعدما نقش فصل عيد قيامة الربّ المجيدة بحروف ذهبيّة اثبت ما يلي معرّباً :

« لا يلمني المطالع فقد كتبتُ على قدر قوّتي . واسأل محبّتكم الالهيّة التي قبلناها جميعاً بالمنحة المسيحيّة ان توجّهوا الصلوات عند مطالعتكم هذه الاسطر المشوّشة الى الرئيس عبدالله المقدسي . لانه هو الذي اهتمّ بهذا الانجيل . . . ثم وثب بشهامة كغزال حادّ النظر من فجّ هذا العالم ومن هذا البحر المجاج وأنقذ سفينته وبلّغها الى ميناء النفوس . وصار راهباً وأخاً معنا . نسأل الله تعالى الذي لاجل محبّته دخل الباب الضيّق ان يفتح امامه ابواب السماء آمين . اللّهم اغفر لنفس ابيه عبد الاحد ولاخوته المحروسين : الراهب شمعون والراهب يشوع وسليمان وسرجيس ومنصور وجرجس وهابيل مع سائر ابنائهم المحبوبين واغفر لراحيل أمّهم » .

وختم الناسخ كتابتهُ بهذا التاريخ معرّباً :

« المجد للآب والابن والروح القدس . على رجائهِ بدأنا وبعونه انتهينا . انتهى نسخ فصول قراءات الانجيل المقدّس المنتخبة والمرتّبة من الانجيليّين الاربعة للسنة كلّها . اكمل يوم السبت اوّل ايّار سنة ١٥٣١ لليونان (١٢٣٠ م) بيد مبارك احقر عبيد ورهبان دير مار متى ابن داود بن صليبا بن يعقوب من بلدة برطلّي الشهيرة في ولاية نينوى . عُني بنسخ هذا الانجيل نيابةً لنيرة الربّان عبدالله يشوع بن شمعون فوقف هذا الكتاب مع امتعة اخرى لكنيسة دير مار متى . . . بجبل القاف . لاجل نجاة نفسه ونفس قرينته التي ترهبت . نسأل المولى تعالى الذي لحبّهِ له احتقر الكرامات العالمية وتبعه بكلّ استعداد . وأبدى علامة حسنة بامانة ارادته ان يمتّعه في الملكوت السماوي الذي يخطفه الناصبون . انوسّل اليكم ايها النجباء ان تقولوا : اللّهم اغفر له وللكاتب » .

وقرأنا في آخر الفصل الذي يرتّل في احد الشعانين وهو موشّى كذلك بحروف ذهبيّة ما تعريبه :

« هذا الانجيل المقدّس يخصّ بنديدا (قرقوش) وقد زحف الشيخ ملّك الى البلدة وخرب جميع القرى المجاورة لها . وانتزع هذا الانجيل من كنيسة بنديدا . . . ثم توجّه سعدو بن حنا خوشابا المشهور بآل قلمايا وزار الشيخ ملك واسترجع الكتاب منه واحضره الى بيته . وبعدئذٍ تمّ الصلح ما بين هولاء النسور » .

هذا ما توخّينا اثباته بشأن هذا كتاب الانجيل البديع. واننا نهنئ بكل قلبنا المكتبة الڤاتيكانية البابويّة بهذه الجوهرة الثمينة . اما ناسخ الكتاب فقد حلّت وفاته عام ١٢٣٩ م .

تتمّة

نختم وصف مخطوطتي فلورنسة والڤاتيكان بذكر بعض اناجيل سريانيّة ممتازة او مصوّرة قرأنا عنها في بعض الصحف :

ثالثًا – كتاب الاناجيل المنقول الى العربيّة طبقًا لطلب الامير عمرو بن سعد

ذكر ابن العبريّ والرهاويّ ان عمرو بن سعد الامير استدعى يوحنا الثالث بطريرك السريان (٦٣١ – ٦٤٩) المعروف بمؤلّف الصلوات الاستغفاريّة [illegible] وكلّفه ان ينقل الاناجيل الاربعة عن السريانية الى العربيّة. فاستحضر البطريرك فريقًا من جاثليق النوخيّين والكوفيين النصارى المليّين بكلتا اللغتين السريانيّة والعربيّة واوعز اليهم ان يتفرّغوا للترجمة . وبعد عناء جسيم ومقابلات جمّة عرّبوا الاناجيل وقدّموا الكتاب للبطريرك فراجعه وأمر احد الخطّاطين المتازين فنسخه على رقّ نقيّ خالص . ثم رُصّعت دفّتاهُ ترصيعًا مُتقنًا مستبدعًا وقدّمه البطريرك هكذا للامير المذكور[1] .

رابعًا – مخطوطة دير مار مرقس بأورشليم

انطوت هذه المخطوطة السطرنجيلية المكتوبة على رقّ الغزال والموشّحة بصور اثريّة مزخرفة على فصول الاناجيل طبقًا للواسم والآحاد والتذكارات وهي محفوظة حفظًا جيّدًا وموسومة بالرقم ٢٧ نسخها الراهب سهدو الرهاويّ عام ١٤٦٠ للاسكندر (١٤٩٩م) في دير مار سمعان الفريسيّ ومريم المجدليّة الذي كان يخصّ الرهبان السريان . وتمّت نساخته وزخرفته في عهد البطريرك اثناسيوس الثامن (١١٣٩ – ١١٦٦). وتوفّي ناسخه عام ١٢٠٧ م . وما برح هذا الكتاب النفيس محفوظًا في دير مار مرقس حتى اليوم .

---

١) تاريخ ابن العبريّ اليعبيّ : جزء ١ في كلامه عن البطريرك يوحنا . وتاريخ الرهاويّ ١٣٩ : ١٦٧ و ١٦٨

خامساً – مخطوطة دير الزعفران

شاهدنا عام ١٩١١ في قلاية كنيسة الشهداء الاربعين باردين مخطوطة لطيفة ظريفة مكتوبة بالقلم السطرنجيلي وموّهة بصنوف التصاوير الملوّنة الانيقة . وقد كتبها بخط يده ثاودرس مطران حصن زياد (خربوط) المتوفى نحو السنة ١٢٧٥ م . وهذا الكتاب البديع محفوظ حتى اليوم في البيعة المذكورة نُقل اليها من مكتبة دير الزعفران القديمة العهد .

سادساً – مخطوطة دير مار يعقوب في صلح (طور عبدين)

مخطوطة نفيسة اشتملت على فصول الاناجيل الاربعة طبقاً للترجمة الحرقلية التي تفرّد بها السريان اليعاقبة . زيّنها ناسخها برسوم دقيقة انيقة في جملتها صورة صعود يسوع المخلّص الى السماء . فيشاهد بطرس زعيم الرسل منتصباً وسط الرسل متوشحاً بحلّة كهنوتية دون سائر الرسل . وهذا الكتاب المحلّى بمختلف الصور الملوّنة كان في السنة ١٩١٢ محفوظاً عند شيخ القرية . ولسنا ندري ماذا حلّ به بعد هذا التاريخ[1] .

سابعاً – مخطوطة البطريرك ميخائيل الكبير

ذكر المؤرّخ الرهاويّ المتوفى نحو السنة ١٢٣٤ في الجزء الثاني من تاريخه ان البطريرك ميخائيل الكبير (١١٦٧ – ١٢٠٠) نسخ بيده انجيلاً لطيفاً بحروف سطرنجيلية على الرقّ وذبّج صفحاته جميعها بماء الذهب والفضّة وغلّفه بغلاف مفضّض . وكان المؤمنون يقبّلونه كألوف العادة كلّما زاروا البطريرك .

ثامناً – مخطوطة يشوع الكاتب

ناسخ هذه المخطوطة الجميلة هو يشوع الراهب المشهور بخطّه وكتاباته . وهو الذي نُصب بطريركاً دخيلاً باسم يوحنا السادس عشر (١٢٠٨–١٢٢٠) مزاحماً البطريرك ميخائيل الثاني (١٢٠٨–١٢١٥) . وقد وشّى مخطوطته النفيسة بماء الذهب . وظلّ كتابه هذا محفوظاً في دير الصليب المطلّ على قرية باقسيان بطور عبدين . ثم اختفى أثره .

تاسعاً – مخطوطة حلب

ذكر الاب انطون رباط اليسوعيّ في كتابه « الآثار الخطّية عن الكنائس

١) المشرق : سياحة في طور عبدين ١٦ (١٩١٣) ٦٧٣

الشرقيّة » ان السائح الرومانيّ بطرس ديلّا ڤالي وصل الى حلب عام ١٦٢٥ وزار البطريرك هداية الماردينيّ (١٥٩٨ — ١٦٤٠) وشاهد عنده مخطوطتين بديعتين من الاناجيل السريانيّة كُتبتا على جلد عجل ابيض أملس وصف احداهما بقوله : أرجّح ان ناسختها ترتقي الى ما قبل اربعمائة سنة . حروفها بأسرها مرقومة بذهب وفضّة . وذكر لي البطريرك ان الاتراك لمّا دخلوا في قبرس عندما احتلّوها ثم نقلوها الى قسطنطينية واشتراها احدهم واحضرها الى حلب . ولستُ ابالغ ان قلتُ انه يتعذّر ان يكون خطّ اجمل وأبدع من خطّ هذا الانجيل . وهو فوق ذلك مدبّج بالذهب وموشّى برسوم لطيفة انيقة جدًّا . امّا غطاؤه فهو من المخمل المرصّع بالفضّة المذهّبة . وقد انتزع الاتراك غلافه الاصليّ الذي كان مزدانًا بلآلئ ثمينة شتّى .

امّا كتاب الانجيل الثاني فهو مكتوب بالحبر ورسومه اقلّ من رسوم الكتاب المشار اليه[1] .

عاشرًا — مخطوطة دير الشرفة

ضمّت مكتبة دير الشرفة العامرة مخطوطة لطيفة ظريفة اشتملت على الصلوات القانونيّة اليوميّة وعلى الانغام البيعيّة . كتبها السيّد ديونيسيوس رزق الله امين خان مطران السريان الكاثوليك في حلب عام ١٦٩٠ وحلاها بأربعين صورة صغيرة ملوّنة لا يتجاوز حجم الصورة ١٠ س. فالأولى صورة يسوع المخلّص فصورة العذراء المنبوطة ومار بطرس ومار بولس وموسى وزكريا والبشارة والزيارة الخ. طبقًا لنظام انجيليّ فلورنسة والڤاتيكان. وختمها بصورة مار يوليان الشيخ الذي وشّح ابانا مار ابرام الملقان بالاسكيم الرهبانيّ[2] . على انّ بين رسوم الانجيلَين المشار اليهما ومخطوطة دير الشرفة فرقًا كثيرًا من حيث الظرافة ودقّة الصناعة — هذا ما توخّينا ان نطرقه قرّاء المشرق الاغر بشأن فنّ التصوير الجميل لدى السريان في سالف الزمان والسلام .

1) *Documents inédits.* Par le P. A. Rabbath, p. 389.

2) مخطوطة دير الشرفة ٥ — ١٤ صفحة ١٠٠-١٠١